صور من بعض مظاهر التفاعل الاجتماعي في بلاد الشام ابان الحروب الصليبية

Pictures of some aspects of social interaction in the Levant during the Crusades

Dr. Hazem sami yaseen
Lecturer
Dr. Mahmood dakhel ali
Lecturer
Salahuddin Education Directorate

د. حازم سامي ياسين
مدرس
د. محمود دخيل علي
مدرس
مديرية تربية صلاح الدين

Hazimsami1985@gmail.com
mohmood.a.aldkhel@gmail.com

الكلمات المفتاحية: الحروب الصليبية، التفاعل الاجتماعي، بلدوين، النصارى الشرقيين، اهل الذمة، البولان، الارمن

Keywords: Crusades, social interaction, Baldwin, Eastern Christians, dhimmis, Poles, Armenians

الملخص

تضمنت هذه الدراسة صورا من التفاعل الاجتماعي بين الشرق والغرب ابان الحروب الصليبية والتي كانت لها اثرها في تغير المجتمعات الغربية نحو التحضر والخلاص من التخلف الحضاري الذي كان سائدا في اوربا، فبدأت الحضارة الشرقية برُقيها تغزو العقل الاوربي حتى أخذ الصليبي يتأقلم مع المجتمع الجديد محاولا في بداياته التقرب والتودد من الشرقيين لاسيما النصارى منهم لغايات سياسية، لكنه ومن دون ان يشعر اكتسب الكثير من العادات والتقاليد الشرقية التي ما ان اعتاد عليها حتى اخذ يألفها مع تقادم الزمن، فبدأ يحتفل ويأكل ويلبس ويلعب ويعتني بنظافته الشخصية على الطريقة الشرقية، ونظراً لذلك فقد تعرض الصليبيون لموجة من الانتقادات العنيفة بسبب تشبههم بالشرقيين لاسيما طبقة البولان.

Abstract

This study included images of cultural interaction between the East and the West during the Crusades, which had an impact on changing Western societies towards civilization and liberation from the cultural backwardness that was prevalent in Europe. Eastern civilization with its sophistication began to invade the European mind until the Crusaders began to adapt to the new society, trying in its beginnings. He approached and courted the Easterners, especially the Christians, for political purposes, but without realizing it, he acquired many Eastern customs and traditions that he was not accustomed to until he began to become familiar with them with the passage of time. He began to celebrate, eat, dress, play, and take care of his personal hygiene in the Eastern manner. Because of this, the Crusaders were exposed to a wave of From violent criticism because of their resemblance to Easterners, especially the Bulan class.

المقدمة

الحمد لله الذي اوجد الخلق من العدم ورباهم بالنعم، واصلي واسلم على بُعث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين... ان الحضارة العربية الاسلامية كانت ومازالت ترفد الشعوب والامم بالعديد من الثقافات المختلفة التي كان لها دورها الرئيس في تقدم وتطور تلك الامم من خلال اكتسابها لتلك الثقافات والعمل بها لاسيما على الصعيد الاجتماعي، كما حدث مع الصليبيين الذين غزو الشرق في نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وكنتيجة حتمية فقد حدث تواصل بين اصحاب الارض الشرقيين والغزاة الغربيين الذين سرعان ما تأثروا بالواقع الجديد والرُقي الذي كان يمتاز به الانسان الشرقي، لاسيما وان الغرب لم يعهدوا هكذا تحضر في مجتمعاتهم الفوضوية التي كان البقاء فيها للأقوى، وهكذا بدأت القيم والثقافات الشرقية تنتقل الى الغربيين تدريجيا فبدأت بالمأكل والملبس والعادات والتقاليد والاحتفالات، كما كان للزواج من النساء الشرقيات عادة عهدها الامراء الصليبيين في محاولة لكسب ود النصارى الشرقيين مما نتج عنه جيل جديد شرقي التكوين والنشأة.

بعض مظاهر التفاعل الاجتماعي:

المبحث الاول

الزواج والمسكن والمأكل

١-الزواج:

لقد تجلت اولى مظاهر التفاعل الاجتماعي بين سكان بلاد الشام لاسيما النصارى والصليبيون في المصاهرة التي قامت بينهما، أذ ارتبط عدد من النبلاء والفرسان الصليبيين بنساء نصرانيات (ارمنيات وسريانيات وبيزنطيات) ، كما حدث في امارة الرها، اذ تزوج بلدوين الأول كونت الرها الصليبية(٤٩١-٤٩٤هـ/ ١٠٩٧ - ١١٠٠م) من امرأة ارمنية تدعى أردا ابنة ثاتول حاكم مرعش (الحويري، ١٩٧٩م، صفحة ٧٦) (نافع، ٢٠١٦م، صفحة ٨٢).

على الرغم من ان هذا الزواج كان لأسباب سياسية في محاولة من بلدوين لكسب ود الارمن الذين كانوا يشكلون الغالبية في إمارته، الا انه قد حقق نوعا من التقارب الاجتماعي واصبح نموذجاً يقتدى به، كما تزوج بلدوين الثاني حاكم امارة الرها (٤٩٤-٥١٢هـ/ ١١٠٠ - ١١١٨ م) من مورفيا الأرمنية ابنه جبريل صاحب ملطية، وجوسلين الاول حاكم الرها(٥١٣-٥٢٦هـ/ ١١١٩ - ١١٣١ م) تزوج من أرمنية (الحويري، ١٩٧٩م، صفحة ٧٦)، ولم يقتصر الأمر على الارمنيات، بل اقبل الصليبيون على الزواج من باقي الطوائف، اذ تزوج بلدوين الثالث ملك بيت المقدس(٥٣٩-٥٥٨هـ/ ١١٤٤ -١١٦٢ م)، وعموري الاول ملك بيت المقدس ايضا(٥٥٨-٥٧٠هـ/ ١١٦٢- ١١٧٤م) من بيزنطيات، كما تزوج بعض الأمراء الأرمن من صليبيات (الحويري، ١٩٧٩م، صفحة ٧٧) (نافع، ٢٠١٦م، صفحة ٨٢).

وقد نشأ نتيجة هذا التزاوج جيل جديد جمع بين الجنسين العربي والصليبي عرف بالبولان poullain كان اكثر انسجاماً وارتباطاً مع المجتمع الشامي واساليب الحياة الشرقية التي وُلد فيها مما جعله يلعب دورا مهما في خدمة المجتمع الصليبي انذاك (البولان: تسمية أما أطلقت على الذين ولدوا في الأراضي المقدسة بعد احتلالها أو هم أولاد أمهات من مملكة ابوليا إذ تم طلب أمهاتهم إلى الأراضي المقدسة بزواجهم من الصليبيين الذين استقروا بعد الحملة الصليبية الأولى) (فيتري، ١٩٩٨م، صفحة ٩٧) (الحويري، ١٩٧٩م، صفحة ٧٧).

ووصف هذه الفئة أسامة ابن منقذ قائلاً: "**فكل من هو قريب العهد بالبلاد الافرنجية ، اجفى اخلاقا من الذين تبلدوا وعاشروا المسلمين**" (ابن منقذ، بدون، صفحة ١٣٤).

ومما تجدر الإشارة اليه ان هناك بعض الصليبيين الذين استقروا في بلاد الشام وآثروا الحياة فيها قد تغيرت علاقتهم الاجتماعية بسكان بلاد الشام تغيرا جذريا، الأمر الذي جعلهم اكثر ارتباطاً بالكيان القومي العربي فيما بعد ، كل ذلك نتيجة الزواج والاندماج مع المجتمع الشامي، فنتج عنه العديد من العوائل منها العوائل اللبنانية التي ادعت انها من اصل صليبي

وبقت تحتفظ باسماءها اللاتينية مما يدل على انها انحدرت من الصليبيين الذين استقروا في البلاد، ومن هذه الاسماء ، فرنجية Frankish ، وصليبي Crusading ، وبردويل Bardwin ، والدويهي De Douhai ودريان comted orient، وطربية Torbey ، واغلب هذه العائلات كانت تنتمى للطائفة المارونية (حتي، ١٩٨٣م، صفحة ٢٥٨) (الحويري، ١٩٧٩م، الصفحات ٢٥٩-٢٦٠).

ويبدو ان الموارنة كانوا منجذبين للصليبيين اكثر من باقي الطوائف النصرانية وبادلهم الصليبيون ذلك لانهم قدموا خدمة كبيرة لمساعدة الغزاة ، فضلاً عن ان الطرفين يتبعون المذهب نفسه ولم يتم اعتبارهم مهرطقين كالبقية.

وبعد ان استعرضنا جانبا من الزيجات التي شكلت احد جوانب التفاعل الاجتماعي، ننتقل الى جانب ثاني وهو تأثر الصليبيين كثيرا بما كان سائدا في بلاد الشام من اساليب الحياة الأخرى كالمسكن والمأكل والملبس والعادات والتقاليد في الاحتفالات والاعياد وغيرها.

٢-المسكن والمأكل:

ان عظمة الحضارة الاسلامية ومدى تقدمها ابهر الصليبيين وجعلهم يتأثرون بالشرق الاسلامي، الامر الذي دفعهم لترك العديد من عاداتهم وتقاليدهم، ففي مجال المسكن اتبع الملوك والأمراء الصليبيين الطراز الشرقي في بناء مساكنهم، فقد اتقن هذا الطراز البناءون من اهل الذمة سواء من العرب او من غيرهم لذلك تم استخدامهم من قبل الصليبيين لهذا الغرض، عن الطراز الشرقي في بناء مساكن الصليبيين وما اتسمت به حياتهم من ترف وفخامة ومدى تأثرهم بالشرق. (الحويري، ١٩٧٩م، صفحة ٢٤٣) (براور، ٢٠٠١م، صفحة ٦١٥) (براور، عالم الصليبيين، ١٩٩٩م، الصفحات ١٠٨- ١١٢) ، مع الاخذ بنظر الاعتبار ان الصليبيين لم يشيدوا الكثير من المساكن وانما استولوا على المساكن التي قتلوا وهجروا سكانها واستخدموا ما وجدوا فيها من اغراض (قاسم، ١٩٩٤م، صفحة ٣٩٢).

وقد بلغ تأثير اهل الذمة لاسيما النصارى في العديد من أساليب الحياة اليومية وكل ما هو طرازه شرقي، فنتيجة للاختلاط والاندماج اصبح الصليبيون يستخدمون الاثاث وادوات الزينة وادوات المطبخ ذات الطراز الشرقي (براور، عالم الصليبيين، ١٩٩٩م، صفحة ١١١).

ليس هذا فحسب بل ان قصور الامراء الصليبيين تواجد فيها اعداد من الخدم الشرقيين لاسيما النصارى والتي كانت مهمتهم الاشراف على الموائد واعداد الطعام، كما قاموا بإدخال ثقافة الجلوس على البسط والحصير عند تناول الطعام وليس كما اعتاد عليه الصليبيين من الجلوس على الارائك والمقاعد (الحويري، ١٩٧٩م، صفحة ٢٤٤) (نافع، ٢٠١٦م، صفحة ٨٤) ومن شدة تأثر الصليبيين بالشرقيين بلغ الأمر بالملك بلدوين الاول ملك بيت المقدس

(١١٠٠ – ١١١٨م) انه كان يتناول طعامه على بساط مربع الشكل مفروشاً على الأرض على الطريقة الشرقية (نافع، ٢٠١٦م، صفحة ٨٤).

واذا ما تكلمنا عن مدى التأثير الشرقي في الصليبيين فلا بد لنا ان نذكر دور نساء اهل الذمة الذين تزوجوا من الأمراء والملوك الصليبيين، اللاتي كان لهن دورا بارزا في طهي الطعام وطرقاً فنية مختلفة بإستخدامهن التوابل والمشهيات فشغف الصليبيون بانواع المأكولات في بلاد الشام واستطاع فن الطهي الشرقي ان يغزو المستوطنات الصليبية، وإلى جانب معرفة النساء الارمنيات والسريانيات والموارنيات فن الطهي كن يجلبن بعض الخدم الشرقيين من ملتهن ممن هم بارعين في طهي انواع المأكولات. (براور، الأستيطان الصليبي، ٢٠٠١م، صفحة ٦١٦) وقد بلغ تأثير اهل الذمة في الصليبيين الى الاستغناء عن دهن الخنزير الذي اعتادوا عليه في المأكل، واستبدلوه بالزيوت النباتية كزيت الزيتون الذي كانت صناعته منتشرة بشكل كبير في بلاد الشام، كما استبدلوا لحم الخنزير بلحوم الاسماك والدجاج، وفضلوا استخدام طباخات من أهل الذمة ليحصلوا على نمطاً خاص من النظافة والترتيب (ابن منقذ، بدون، صفحة ١٤٠) (براور، عالم الصليبيين، ١٩٩٩م، صفحة ١١١).

ومن الجدير بالذكر ان أهل الذمة كانوا الوسطاء بين الصليبيين والتجار المسلمين الذين يتواجدون في المدن الصليبية ممن يتاجرون بالمأكولات المطهية (براور، الأستيطان الصليبي، ٢٠٠١م، صفحة ٦١٧).

المبحث الثاني

الملبس والهيئة ووسائل التسلية

١-الملبس والهيئة:

اما الملبس، فقد كان نتيجة توفر الاقمشة والمنسوجات بشكل كبير واشتهار اغلب مدن بلاد الشام فرصة اتاحت للصليبيين الحصول على الالبسة عن طريق سماسرتهم في أهل الذمة، بعدما كان في اوربا متاح فقط على بيوت الامراء والملوك، أما في بلاد الشام فإنه أصبح بيد الجميع لكن طريقة تفصيله كانت توافق النمط الاوربي آنذاك (قاسم، ١٩٩٤م، صفحة ٢٩٣) ، وقد وصف ابن جبير ملابس الصليبيين اثناء حضوره لحفل زفاف في مدينة صور وطريقة اختلافها عن ملابس السكان الشرقيين (ابن جبير، بدون، صفحة ٢٧٨).

وقد اقتبس الصليبيون النمط الشرقي بأدق الجزئيات، اذ نجد انهم كانوا يلبسون شالا صغيرا يوضع على الخوذة او تكون الخوذة مبطنة بقماش للحماية من اشعة الشمس اقتداءً بإهل الذمة الشرقيين والمسلمين الذين كانوا يفعلون ذلك، وفي بعض الأحيان كان الصليبيين يرتدون عباءة بيضاء كما يفعل الشرقيين لكنها بطراز اوربي او لها لمسة اوربية، لكن مع ذلك كله بقي الصليبي يشعر بهويته لدرجة انهم كانوا يمنعون غير الصليبيين من ارتداء الملابس ذات الطابع الصليبي (براور، الأستيطان الصليبي، ٢٠٠١م، الصفحات ٦١٩- ٦٢٠) (براور، عالم الصليبيين، ١٩٩٩م، الصفحات ١١١- ١١٢).

ويبدو أن التمسك بالهيئة الصليبية كان شائعاً انذاك، وقد عبر عن نفسه في مقاومة العادات الشرقية من خلال اطلاق الذقون، فبينما كان الصليبيين الذين اشتركوا بالحملة الصليبية الاولى ملتحين كما كانت العادة في بلادهم انذاك، فإن خلفهم تابعوا حلق الذقون، بل كانوا يعيبون وينتقدون النصارى الشرقيين لانهم يتشبهون بالملل الأخرى كالمسلمين وبعض اليهود في اطلاق ذقونهم، وقد اصبحت وجوه الصليبيين بلا ذقون والشعر المسدل على الأكتاف علامة تميزهم عن غيرهم، مما عرضهم إلى احتقار الشرقيين وامتعاضهم (فيتري، ١٩٩٨م، صفحة ١٠٩) (براور، عالم الصليبيين، ١٩٩٩م، صفحة ١١٢).

وقد تعرض النصارى الشرقيين الى نوع من الاضطهاد الاجتماعي، فبالرغم من انهم اعتادوا الملابس الشرقية التي تشبه بهيئتها ملابس المسلمين إلا انهم منعوا من ذلك فيما بعد، بل انهم تعرضوا للقتل في بعض الأحيان على يد الصليبيين بحجة انهم كانوا يظنونهم مسلمين بسبب الملابس واطلاق اللحى (براور، الأستيطان الصليبي، ٢٠٠١م، صفحة ٦٤٠) ، وهذا الشيء يعطينا انطباعاً ان ملابس الشخص كانت تحدد هويته.

ويبدو ان هذه المعارضة على التشبه بالشرقيين لم تستمر طويلاً، فمع مرور الوقت أصبح هناك من الصليبيين من يرتدون الملابس الشرقية، واطلاق لحاهم تشبها بالشرقيين

(الحويري، ١٩٧٩م، صفحة ٢٤٤) ، كما فعل بعض الأمراء الصليبيين عندما اطلقوا لحاهم على النمط الشرقي (فيتري، ١٩٩٨م، صفحة ١٠٩) ، اذ نجد ان بلدوين فعل ذلك عندما استبدل ثيابه الأوربية بأخرى شرقية، ووصل الأمر بتنكرد صاحب انطاكية(٥٠٢-٥٠٦هـ/١١٠٨-١١١٢م) ان سك النقود وعليها صورته في زي عربي (الحويري، ١٩٧٩م، صفحة ٢٤٤).

أما المرأة النصرانية الشرقية فلها دور مؤثر على المرأة الغربية لاسيما في ارتداء الملابس الطويلة المطرزة، فبدأت المرأة الصليبية ترتدي هذا النوع من الملابس، فضلاً عن لبس بعضهن الخمار كالنساء المسلمات ليس بهدف العفة وانما لحماية بشرتهن المطلية، كما استخدمن المجوهرات لزينتهن (رنسيمان، بدون، صفحة ٣٦٦).

وبعد استقرار الصليبيون في الشرق وجدوا ان المرأة الشرقية تحظى بإحترام كبير وان نظرة الرجل الشرقي تختلف تماما عن نظرتهم لها، ففي الشرق تمتعت المرأة بالعديد من الحقوق التي كان الغرب لايعرفها، اذ كانت من حقها ابداء رأيها في العديد من القضايا كالزواج، وحقها في وراثة الملك عند بعض طوائف النصارى كالارمن (نافع، ٢٠١٦م، صفحة ٨٧).

ان هذا التحول الكبير في النظرة للمرأة، وتأثر المرأة الصليبية بمثيلتها الشرقية قد اثار غضب بعض المتعصبين من رجال الدين، لاسيما وان نساء طبقة البولان قد عشن عيشة شرقية خالصة، فكان لا يسمح لهن بالخروج الى الكنيسة الا مرة واحدة في العام، وفي المقابل كان يسمح لهن ان يخرجن للحمامات ثلاث مرات في الاسبوع شأنها في ذلك شأن المرأة الشرقية (فيتري، ١٩٩٨م، صفحة ١٠٦).

وبصورة عامة فقد تعرضت طبقة البولان لانتقاد شديد كان يمس حياتهم واسلوب معيشتهم بشكل عام، فقد اتهموا بالسلبية والكسل وحب الرفاهية والترف وانهم اعتادوا على الحمامات بدل المعارك، منغمسين بلمذاتهم مثل النساء، ويملأ قلوبهم الجبن ضد أعداء المسيح، ويجنحون إلى السلم مع المسلمين، راغبين بالعيش بسلام، على نقيض اسلافهم الذين كان صوتهم كالرعد على أعدائهم (فيتري، ١٩٩٨م، الصفحات ١٠٤- ١٠٥).

بالرغم من الانتقاد الذي وجهه فيتري إلى تلك الطبقة واسلوب معيشتها وطريقة تعامل رجالها مع زوجاتهم فإنه يكفينا دليلا للوقوف على مدى تأثر الصليبيين بالبيئة والوسط الذي عاشوا فيه ومدى اعجابهم بالعادات الشرقية.

وقد نالت الحمامات الشرقية اعجاب الصليبيين بشكل كبير حتى اصبحت احدى غاياتهم، فأقبلوا اليها طلبا للراحة والنظافة، ومما أثار حفيظتهم في ذلك نظافة السكان المحليين الذين كانوا يرتادونها، ففعلوا كما يفعل السكان، بل ان بعضهم اصطحبوا زوجاتهم

وجعلوا رجل الحمام يفعل لنساءهم كما يفعل لهم في مسألة حلق العانة وتنظيف الجسد، وقد وجد الصليبيون من الحمامات وسائل للترفيه عن النفس، اذ كانت بمثابة نوادي يجتمع فيها لتناول المشروبات الساخنة وتبادل الاحاديث، فضلاً عن ان الكثير من الصفقات والمشكلات كانت تبرم وتحل في تلك الحمامات (ابن منقذ، بدون، الصفحات ١٣٦- ١٣٧).

٢-وسائل التسلية:

ومن وسائل التسلية التي اكتسبها الصليبيون من سكان بلاد الشام ومارسوها معهم الصيد والنرد والشطرنج والعاب اخرى، ولشدة ولعهم بها وصل الحال ببعض الصليبيين انه كان يراهن بثروته كلها على تلك اللعبة أو المسابقة (براور، عالم الصليبيين، ١٩٩٩م، صفحة ١١٥).

المبحث الثالث

الاعياد والمناسبات

وكان للاحتفالات الخاصة والعامة التي اقامها النصارى الشرقيين تأثيرها البالغ في الصليبيين كالزواج والولادة والاعياد وغيرها، وقد شاركوا بعضهم البعض في الاحتفالات، واعتاد الصليبيون احياء احتفالاتهم على الطريقة الشرقية بالموسيقى والغناء والراقصات واستخدموا الكثير من أدوات الطرب الشرقية، وادخل الصليبيون عادة الرقص مع السيدات وهذا الشيء لم يعجب اهل الشام (نافع، ٢٠١٦م، صفحة ٨٩) ، ويبدو ان هذا الشيء كان غريباً ودخيلاً على المجتمع الشامي.

كما تأثر الصليبيون بمراسيم الزواج ومنها ما حدث اثناء زواج ملك بيت المقدس بلدوين الاول بعد موت زوجته الأولى وزواجه بالثانية عام ٥٠٧هـ/ ١١١٣م، اذ كان في استقبالها بكل الروعة التي تستطيع مملكته اظهارها على الطراز الشرقي فلبس الاردية الحريرية والبسها لبلاطه، وفرشت الشوارع بالبسط الفاخرة وعلقت الرايات الأرجوانية على طول الطريق الى بيت المقدس (رنسيمان، بدون، صفحة ١٣٣).

وفيما يتعلق بالاعياد فمنها ما هو خاص بالقديسين، أذ كانت لكل طائفة قديسيها الخاصين بها، ومن ثم فإن الطوائف سواء أكانت محلية او صليبيين فإنها لم تشارك بعضها البعض في تلك الاحتفالات، اما الاعياد الدينية والقومية فكانت مشتركة بين جميع الطوائف النصرانية فضلا عن الصليبيين، وهذه الاعياد كانت مختلفة بأوقاتها عند هذه الطوائف حسب توقيت كل طائفة، وقد انقسمت هذه الأعياد الى قسمين هما الاعياد الكبار والاعياد الصغار، شملت الأعياد الكبار: عيد الزيتونة وعيد البشارة وعيد الصعود وعيد الفصح وعيد الميلاد وعيد العنصرة وعيد الظهور الآلهي، أما الأعياد الصغار: فشلمت عيد الاربعين وعيد الصليب وعيد التجلي وعيد الختان. (القلقشندي، بدون، الصفحات ٤٥٤- ٤٥٧) (براور، الأستيطان الصليبي، ٢٠٠١م، الصفحات ٢١٤- ٢١٨).

وكثيراً ما احتفل الصليبيون باعيادهم وفق العادات الشرقية، اذ كانوا يجمعون الناس بواسطة المقارع الخشبية، خشبة يضرب بها. (عمر، ١٤٢٩هـ، صفحة ١٨٠٢). كما يفعل النصارى الشرقيون وليس بواسطة الاجراس كما كانت عادتهم (براور، الأستيطان الصليبي، ٢٠٠١م، صفحة ٢١٤).

ومن الاعياد التي شاركت فيه جميع الطوائف النصرانية الصليبيين هو عيد النار المقدسة والتي سمح الصليبيين للرهبان البيزنطيين بالاشتراك بهذه الاحتفالات بعدما كانوا ممنوعين من الاحتفال بها في بداية الغزو الصليبي لبلاد الشام (الراهب، ٢٠٠٣، صفحة ١٣٤).

وقد اصطبغت بعض الاحتفالات بالصبغة البيزنطية في بداية تواجد الصليبيين في الشام، كما هو الحال في عيد النار المقدسة، لكن بعد استقرارهم وبمرور الزمن تلاشت تلك الصبغة واصبحت هذه الاحتفالات ذات سمة صليبية بحتة (براور، الأستيطان الصليبي، ٢٠٠١م، صفحة ٢١٤).

كما احتفل الصليبيون مع باقي الطوائف النصرانية الشرقية بحادثتين مهمتين، الأولى كانت في ذكرى استيلائهم على بيت المقدس في ١٥ تموز عام ٤٩٣هـ/١٠٩٩م، والثانية تمثلت في اعادة تجديد كنيسة الضريح المقدس وتكريسها للخدمة الا انهم عدوا المناسبة الثانية عيدا ولم يحتفلوا بها الا بعد مرور خمسين عاماً من تواجد الصليبيون في بيت المقدس (فورزبورغ، ١٩٩٧م، الصفحات ١١٤– ١١٥) (براور، الأستيطان الصليبي، ٢٠٠١م، الصفحات ٢١١– ٢١٢).

ومن العادات السيئة التي اخذها الصليبيون من اهل الذمة الشرقيين عاداتهم في المأتم والاحزان، ومنها قرع اجراس الكنائس عند حدوث حالة وفاة، كما كانوا يستأجرون الندابات اللاتي ينثرن على رؤوسهن الحناء ويخدشن خدودهن ويسودن وجوههن بسخام القدور، كذلك كسر اناء خزفي بعد خروج النعش ظنا منهم ان ذلك سيمنع ان يلحق بالميت احدا من أهله، كما اخذ الصليبيون عادة اقامة الولائم الخاصة بالموت (نافع، ٢٠١٦م، صفحة ٩٢).

وادخل الصليبيون بعض العادات التي لم يعرفها اهل الذمة وهي قضية تحنيط الموتى، إذ لم يقم النصارى الشرقيين بتحنيط موتاهم من قبل، بينما قام الصليبيون بذلك فاذا كان الميت من نبلاءهم أو رجل ذو شأن يتم تحنيطه، ومن ذلك ما حدث مع بلدوين الاول عندما مات، اذ قاموا بإخراج احشاءه ورميها ودفن الجسد في كنيسة القيامة، وقد حرص الصليبيين على مسألتين هما دفن اصحاب الشأن في الكنائس وكتابة المراثي التي عادة ما تكون باللغة اللاتينية (الحريري، ١٩٨١م، صفحة ٧٥).

ومما سبق يمكن القول أن الصليبيين استقروا في بلاد الشام ردحاً من الزمن مما اتاح لهم اقامة علاقات مع السكان لاسيما النصارى فهم اخوانهم في الدين رغم اختلاف عقائدهم لكنهم كانوا الاقرب اليهم في المجتمع الشرقي، فضلا عن ان النصارى كانوا اكثر عنصر بشري تواجد في الامارات الصليبية والاوفر حظا في بقاءهم فيها من بقية عناصر المجتمع الشامي، فالمسلمون قتلوا او هربوا، واليهود كذلك، ولم يسمح لهم أو على الأقل لم يرحب بهم للاستقرار والسكن في الامارات الصليبية، ففرغ الميدان للنصارى، ولم يجد الصليبيون امامهم متعاونين سواهم، فأثروا فيهم في كثير من النواحي منها الاجتماعية.

الخاتمة

توصل الباحث الى عدة نتائج منها:

١- حاول الصليبيون ترسيخ حكمهم واحكام قبضتهم في مناطق نفوذهم من خلال ضم النصارى الشرقيين الى جانبهم فبدأوا بمصاهرتهم لضمان ذلك.

٢- لم يكن الصليبيون يحملون عقيدة اجتماعية راسخة تأهلهم للتأثير وعدم التأثر بالشرقيين.

٣- ان التمازج المجتمعي الذي حدث انذاك بين الصليبيين والعرب بطوائفهم جعل الصليبيون. يحبذون العادات والتقاليد الشرقية نتيجة سلاسة التعامل التي ابداها الشرقيين معهم.

٤- تخلي الصليبيون عن كثير من العادات التي كانوا يمارسونها كطريقة الجلوس والملبس وغيرها.

٥- تعرف الصليبيون على الموسيقى الشرقية فضلا عن الالعاب كالنرد والشطرنج وغيرها والتي تعد اشياء جديدة.

٦- اقبل الصليبيون على الحمامات الشرقية للاعتناء بالنظافة الشخصية اقتداء بالشرقيين.

٧- تأثر المرأة الغربية بشكل كبير بنظيرتها الشرقية حتى وصل الحال بها للبس الخمار.

٨- تكون جيل جديد من الصليبيين عرف بالبولان كان اقرب للشرقيين من اسلافه كونه .

٩- احتفظ الصليبيون ببعض عاداته مثل تحنيط الموتى والذي لم يكن معهودا في الشرق انذاك.

١٠-لم يكن احد من الشرقيين اقرب الى الصليبيين من النصارى فقد كانوا الاقرب والاوفر حظا لاسيما الموارنة والارمن منهم.

ثبت المصادر

- أحمد علي الحريري. (١٩٨١م). الأعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعيين على ديار المسلمين. دمشق: بدون.
- أحمد علي القلقشندي. (بدون). صبح الأعشى في صناعة الأنشا (المجلد ٢). بيروت: دار الكتب العلمية.
- أحمد مختار عمر. (١٤٢٩هـ). معجم اللغة العربية المعاصرة (المجلد ٣). بدون: عالم الكتب.
- أسامة مرشد ابن منقذ. (بدون). الأعتبار. مصر: مكتبة الثقافة الدينية.
- أميرة نافع. (٢٠١٦م). المسيحيون المحليون في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية. القاهرة: عين للدراسات.
- دانيال الراهب. (٢٠٠٣). وصف الارض المقدسة في فلسطين للحاج الروسي دانيال الراهب. عمان: دار الشروق.
- ستيفن رنسيمان. (بدون). تاريخ الحملات الصليبية (المجلد ٢). بدون: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- عبدة قاسم قاسم. (١٩٩٤م). بعض مظاهر الحياة الاجتماعية لبلاد الشام في عصر الحرورب الصليبية. بدون: عالم الفكر.
- فيليب حتي. (١٩٨٣م). تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين (المجلد ٢). بيروت: دار الثقافة.
- محمد أحمد ابن جبير. (بدون). رحلة ابن جبير. بيروت: دار بيروت.
- محمود أحمد الحويري. (١٩٧٩م). الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنيين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد عصر الحروب الصليبية. القاهرة: دار المعارف.
- يعقوب فيتري. (١٩٩٨م). تاريخ بيت المقدس. عمان: دار الشروق.
- يوحنا فورزبورغ. (١٩٩٧م). وصف الأراضي المقدسة في فلسطين للرحالة الألماني يوحنا فورزبورغ. عمان: دار الشروق.
- يوشع براور. (١٩٩٩م). عالم الصليبيين. القاهرة: عين للدراسات.
- يوشع براور. (٢٠٠١م). الأستيطان الصليبي. القاهرة: بدون.

References

- Ahmed Ali Al-Hariri. (1981). Al-A'lam wa Al-Tabyeen fi Khuruj Al-Franj Al-Mala'een 'Ala Diyar Al-Muslimeen. Damascus: without.
- Ahmed Ali Al-Qalqashandi. (without). Subh Al-A'sha fi Sana'at Al-Ansha (Volume 2). Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah.
- Ahmed Mukhtar Omar. (1429 AH). Dictionary of Contemporary Arabic Language (Volume 3). Without: Alam Al-Kotob.
- Osama Murshid Ibn Munqidh. (without). Al-I'tibar. Egypt: Library of Religious Culture.
- Amira Nafi'. (2016). Local Christians in Bilad Al-Sham in the Era of the Crusades. Cairo: Ain for Studies.
- Daniel Al-Raheb. (2003). Description of the Holy Land in Palestine by the Russian pilgrim Daniel Al-Raheb. Amman: Dar Al-Shorouk.
- Stephen Runciman. (without). History of the Crusades (Volume 2). Without: Egyptian General Book Authority.
- Abdah Qasim Qasim. (1994). Some Aspects of Social Life in Bilad Al-Sham in the Era of the Crusades. Without: Alam Al-Fikr.
- Philip Hitti. (1983). History of Syria, Lebanon and Palestine (Volume 2). Beirut: Dar Al-Thaqafa.
- Muhammad Ahmad Ibn Jubayr. (without). Ibn Jubayr's Journey. Beirut: Dar Beirut.
- Mahmoud Ahmad Al-Huwairi. (1979). The Civilizational Conditions in the Levant in the Twelfth and Thirteenth Centuries AD, the Era of the Crusades. Cairo: Dar Al-Maaref.
- Yaqoub Vitry. (1998). History of Jerusalem. Amman: Dar Al-Shorouk.
- John of Würzburg. (1997). Description of the Holy Lands in Palestine by the German Traveler John of Würzburg. Amman: Dar Al-Shorouk.
- Joshua Brauer. (1999). The World of the Crusaders. Cairo: Ain for Studies.
- Joshua Brauer. (2001). Crusader Settlement. Cairo: without.